يغال آلون

ترجمة : عثمان سعيد

مراجعة وتقديم : ناجي علوش

إنشاء وتكوين الجيش الإسرائيلي

دار المعوطة

انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى : تشرين أول - اكتوبر - ١٩٧١

يغال آلون

إنشاء وتكوين الجيش الإسرائيلي

ترجمة : عثمان سعيد
مراجعة وتقديم : ناجي علوش

دار العودة - بيروت

يغال آلون

« دراسة تطبيقية في الاستراتيجية الصهيونية »

بقلم : ناجي علوش

١ – لماذا يغال آلون :

يغال آلون ليس رجل دولة بارزاً في دولة الاحتلال فحسب ، انه « منظّر » كبير و« استراتيجي » له اعتباره في الأوساط الصهيونية ، وله دوره الكبير في تقرير سياسة الاحتلال الصهيوني .

ويجمع يغال آلون مجموعة من الخبرات والمعارف والممارسات التي لا تجتمع لرجل سياسة إلا فيما ندر ، فهو من خريجي الفوج الأول من مدرسة خضوري الزراعية في فلسطين . وقد تابع دراساته الجامعية في الجامعة العبرية في القدس وجامعة أكسفورد ، ودرس الفلسفة والسياسة والاقتصاد ، والتحق منذ حداثته (كان ابن ١٤) بالهاغاناه وسريات الميدان (فوش) . وكان من أوائل متطوعي البالماخ ، وسمي سنة ١٩٤٣ نائباً لقائد البالماخ . وقاد عمليات كتيبة للبالماخ في سورية خلال

غزو الحلفاء لها في أواخر الحرب العالمية الثانيـــة ؛ وأصبح سنة ١٩٤٥ قائد البالماخ .

وحين بدأ الخلاف بين سلطات الانتداب والحركة الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية أشرف على عمليات « التمرد » ضد سلطات الانتداب .

ولعب في العدوان الصهيوني سنة (١٩٤٧ – ١٩٤٩) دوراً بارزاً ، فقاد سلسلة من العمليات في الجليل الأعلى وصفد واللد والرمـــلة وباب الواد (الطريق إلى القدس) . كما أنه أشرف حين أصبح قائد الجبهة الجنوبية ، على عمليات الساحل الجنوبي والنقب . وقاد حملة الزحف على سيناء من أجل إغلاق طرق الامدادات على القوات المصرية واجبارها على التقهقر ، ضمن إطار حملة « حوريب » * .

لعب آلون ، بعد ذلك ، دوراً سياسياً بارزاً في حكومة الاحتلال ، وقـــد أصبح سنة ١٩٥٤ عضواً في الكنيست ، وشغل ما بين ١٩٦١ و١٩٦٨ منصب وزير العمل ، وخـلال سنتي ١٩٦٨ – ١٩٦٩ منصب نائب رئيس الوزراء ، ووزير استيعاب المهاجرين . واختير سنة ١٩٦٩ رئيساً للجنة العليـا لشؤون المواطنين العرب في حزب العمـل الاسرائيلي . وهو

---

* إقرأ الملحق من صفحة Hart, B, H. Liddall, Strategy ٣٩٦ وما بعد ففيه تفاصيل عن هذه العملية .

الآن نائب رئيسة الوزراء ووزير المعارف والثقافة ، وعضو لجنة الدفاع والأمن في حكومة الاحتلال . وتقرر هذه اللجنة شؤون الحرب والسلام .

ويلعب يغال آلون فوق هذا كله دوراً في ميدان الكتابة والتنظير . إن له عدداً من المؤلفات التي تعالج شؤون سياسة الاحتلال من النواحي السياسية والعسكرية . كما أنه يحرص على الكتابة في الصحف « الاسرائيلية » والأجنبية ، ويجري المقابلات الصحفية الخ . ومن مؤلفاته :

١ – الستار الرملي .

٢ – درع داوود Shield of David .

٣ – ثلاث حروب وسلام واحد (بالعربية) وفيه مقالات ومقابلات وفصول من كتبه السابقة .

٤ – تكوين الجيش الاسرائيلي (هذا الكتاب الذي نقدم له) . وتدور هذه المؤلفات كلها حول معارك الاحتلال الصهيوني ، حول استراتيجيتها وتكتيكها ، وحول آفاق التطور المقبل والعلاقات مع الأمة العربية .

ولكن هل من الضروري أن تصدر ترجمة هذا الكتاب بالعربية ؟. لقد فكرت طويلاً قبل أن أكتب هذا التقديم في موضوع اصدار هذا الكتاب بالعربية . ولقد وصلت إلى الاستنتاج بأن صدوره ضروري ولازم ، لا لأنه يقدم صورة واضحة جارحة للاستراتيجية الصهيونية وللعقل الصهيوني ،

بل لأنه يستفز العقل العربي « بصراحته » الموغلة في العجرفة العرقية العدوانية بلا حدود .

ولقد حرصت هنا أن أقدّمه لأفنّده ، من خلال دراسة عامة لأفكار آلون ولاستراتيجية الحركة الصهيونية. ولو كنت أنا مسؤولاً عن الرقابة في البلاد العربية لسمحت بالكتاب فوراً، لأن ما يقوله آلون نائب رئيسة الوزراء أوضح وأصرح وأكثر قدرة على استفزاز القارىء العربي وتعبئته ضد الحركة الصهيونية من كل المقالات والكتب والتعليقات التي نكتبها حول عدوانية الحركة الصهيونية ومخططاتها القمعية والتوسعية وبرامجها لفرض الاستسلام على الأمة العربية .

ان آلون يتحدث في هذا الكتاب عن انتصارات الاستعمار الصهيوني ، قبل سنة ١٩٤٩ ، وبعدها ، من خلال الحديث عن تكوين جيش الدفاع الصهيوني . وقصة الجيش الصهيوني لا تنفصل عن قصة الاستعمار الصهيوني في فلسطين وتطوره ، ولعلّه من الضروري لنا أن نفهم قصة « الانتصارات » هذه، وكيف حدثت وعلى ماذا اعتمدت لنكون قادرين على جعل المنتصر مهزوماً . ولن نكون قادرين على مواجهة جيوش العدو إذا لم نواجه أفكاره ، لأن الحرب هي حرب الأفكار والوعي والعلم والتنظيم ، وليست الأسلحة والجيوش إلا وسيلة من وسائلها وأداة من أدواتها .

وآلون بعد هذا ، وقبل هذا ، يفكر ويكتب لا ليقرر

مصير دولة الاحتلال ومجتمع الاحتلال ، بل ليقرر مصيرنا . ولهذا فإن علينا أن نقرأه وأن نفهمه جيداً ، لنعرف كيف سنواجه خطته التي تستهدفنا .

وما دام قادتنا ومنظرونا لا يقرأون ماذا يكتب عدونا فلتقرأ جماهيرنا ، لأنها صاحبة المصلحة أولاً وأخيراً ، ولأنها صاحبة الوطن ، وهي التي ستتشرد وتشقى وتجوع .

٢ – أفكار يغال آلون :

يغال آلون استمرار لمدرسة المفكرين الصهيونيين : هس ، بنسكر ، هرتزل ، نوردو ، أحدها عام ؛ ولمدرسة الصهيونيين العمليين : جابوتنسكي ، حاييم وايزمن ، دافيد بن‌جوريون *. وتشكل هاتان المدرستان المنظرون والعاملون لتطبيق النظرية وتطويرها مدرسة « متفردة »** في تاريخ الدعوات الفكرية والسياسية . وهي « متفردة » لأنها نسيج وحدها من بين كل الدعوات الفكرية والسياسية والاجتماعية . وهي بمقدار ما تتشابه مع الدعوات القومية في القرنين التاسع عشر والعشرين (الحركة القومية الايطالية ، الحركة القومية الالمانية) في تركيزها على الأمة وخواصها العرقية وتفوقها ، واحتقارها

---

* – ترجى قراءة : الفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية ، مركز الأبحاث .

** – وفرادتها من فرادة أوضاع اليهود في العالم وفي التاريخ .

لكل ما عداها من الأمم ، فإنها تختلف معها أيضاً . إن فيها من تلك الدعوات رومانسيتها وانكفاءها إلى الماضي وتأليهها لذات الأمة وللغة والتراث والتاريخ ، ولكن فيها أيضاً تأليهاً للأرض وتقديساً للعلاقة بها ، كما لم تعرف حركة قومية أخرى. وبينما كانت الدعوات الأخرى تتحدث عن « أمة موجودة » معروفة ، لها تاريخها المتواصل ، وأمجادها المشهورة ، وتراثها المدوّن المحفوظ ، فان مفكري الصهيونية نظّروا لوجود أمة كانت وانتثرت ، ولحضارة بدائية قامت واندثرت ، واعتبروا أن مهمتهم الأولى والأخيرة إعادة خلق هـــذه الأمة وبعث « حضارتها » بتجميع يهود العـالم ، غير المنحدرين من اليهود الأوائل[1] وبإعادة بناء الهيكل .

ولقد قام قادة الاستعمار الصهيوني في فلسطين بتطبيق هذه النظرية ، وبتجسيدها عملياً من خلال تهيئة فلسطين لاستيعاب « المهاجرين » ، وتهيئة الظروف لاسكانهم وحمايتهم وخلق مجتمع متماسك منهم . وهنا كان يختلف هؤلاء عن القادة الالمان والايطاليين والسلافيين والبولنديين والروس الخ الذين عملوا على توحيد أمم موجودة حية وتحقيق الاستقلال القومي لها .

وبينما كانت الدعوات القومية الأوروبية برجوازية وغيبية فانها كانت على العموم ضد الكنيسة وضد سيطرتها ، وكان

---

١ – حمدان ، جمال : اليهود انثروبولوجياً ، دار الكاتب العربي – القاهرة .

منظروها وفلاسفتها معادين ألداء لسلطات الكنيسة وللدين في أكثر الأحيـان . أما الدعوة الصهيونية فلم تكن منفصلة عن الدين اليهودي ، ولا متصادمة مع الكهنة . وهي في تقديسها للأرض وتمسكها بأسطورة أرض المعاد وتفوق شعب «اسرائيل» إنما تكرّس جوهر الديانة اليهودية ، وكثيراً من طقوسها .

وإذا كانت الدعوة الصهيونية قد أخـــذت عن الدعوات القومية الاوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قضية البعث القومي وتفوق الأمّة وفرادتها وعظمة تاريخها ، فإنهـا أخذت عنها أيضاً تبرير الاستعمار وسحق الشعوب الاخرى . فالأمة ذات متفوقة ، وهي باعتبارها ذاتاً متفوقة مطالبـــة بتمدين الآخرين ، وخاصة إذا كانوا من الشعوب « الهمجية » . ولا مانع من أن يعني هـــذا التمدين الاستيلاء على الأرض والثروات وإبادة « الهمج » وتشريدهم ؛ لأن مصالح « الذات العليا » فوق الأمم والشعوب .

ولقـــد طبّق الاستعمار الغربي هذه السياسة على الشعوب الاخرى ، باسم عبء الرجل الأبيض ، أو باسم المحافظة على مصالح الأمة والدولة، ولكن الحركة الصهيونية وجدت مبرراً آخر : الحق التاريخي والعودة إلى أرض الجدود * . إلا أن

---

* – شايدل ، فرانتس ، اسرائيل امة مفتعلة ، ترجمة محمد حديد ، دمشق ، ص ١٧٠ .

الفرنسيين في الجزائر والبيض في روديسية وجنوب افريقية لم يحتاجوا إلى عذر واهٍ كهذا، وفعلوا هناك ما فعله الصهيونيون هنا . كما أن المستعمرين البيض لم يبحثوا ، عندما أبادوا الهنود الحمر في أميركا الشمالية ، عن مبرر مثل هذا . وهكذا يكون هذا « المبرر » بديلاً للمبررات الأخرى ، أو تستيراً لها ، لأن المستعمرين الصهيونيين لا يفوتهم أن يتحدثوا عن دورهم التمديني في هذه المنطقة « المتخلفة » المحتاجة إلى علمهم وخبراتهم[٢] .

وإذا كان الاستعمار في اوروبة تعبيراً عن حاجة الطبقات السائدة إلى أسواق ، وإلى مطامحها في السيطرة والسلطان ، فان الاستعمار بالنسبة لدولة الاحتلال الصهيوني أساس وجودها. لقد كانت الأمة المزعومة أشتاتاً ومواطنين أجانب أغراباً مختلفي اللغة والثقافة والمواطنية . ثم أنشئت المستعمرات « نواة الأمة الجديدة » بنقود الرأسمالية الصهيونية ، وبتأييد الأوساط الاستعمارية الغربية . وما لبثت المستعمرات أن نمت في ظل الاستعمار البريطاني في فلسطين ، حتى جاء الوقت الذي تحتل فيه ثلثي أراضي فلسطين وتشرد سكانها . وها هي اليوم تحتل فلسطين كلها وأراضي عربية أخرى ، وتطلب من الأمة العربية أن تخضع وأن تفتح أسواقها وحدودها للخبرات والفنيين ورؤوس الأموال القادمة . ان ما تجمع من الشتات

---

٢ – يبدو هذا واضحاً جلياً في تصريحات القادة الصهيونيين .

يصبح «أمة» ، ويبدأ سياسة الاستعمار ، كما بدأها الأوروبيون في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرين.

ومع أن فكرة قيـام دولة صهيونية في فلسطين قد فكر بهـا المستعمرون الأجانب : البريطانيون والفرنسيون خاصة منذ أوائل القرن الماضي ، ومـــع صعود موجة الاستعمار الأوروبي وانتشار سيطرته ، فان البداية السياسية المنظمة لم تبدأ إلا بوعد بلفور سنة ١٩١٧ ، عند قيـــام ثورة اكتوبر الاشتراكية . وكان نمو هـــذا المشروع الاستعماري يتناسب طردياً مع سقوط فكرة الاستعمار. وحين قامت دولة الاحتلال الصهيوني كانت الاشتراكية تسيطر على ثلث سكان المعمورة ، وكانت الدول المستعمَرة في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية قد استقلت أو سارت على طريق الاستقلال . والجدير بالذكر أن انتصارات دولة الاحتلال كانت تزداد وتتعزز كلما انهارت المواقع الاستعمارية، وكلما تقدمت حركات التحرر الوطني والحركة الشيوعية العالمية .

وكانت الحركات القومية الاوروبية متصارعة متحاربة ، بريطانيـــا ضد فرنسا ، وفرنسا ضد المانية وروسية وروسية ضد فرنسا والمانيا وتركية . وكانت الحربان العالميتان الأولى والثانية بسبب هذه التناقضات والصراعات ، كما أن هـــذه التناقضات والصراعات ما زالت قائمة داخل المعسكر الرأسمالي؛ حتى بعد أن انعقد لواء القيادة للولايات المتحدة الأمريكية

أما الحركة الصهيونية فهي الحركة الوحيدة التي نظّر لنشوئها الاستعماريون ، وتبنتها ورعتها الأوساط الاستعمارية ، ثم ساعدتها على تحقيق أهدافها ، وما زالت تمدها بكل أسباب البقاء والسيطرة . وما ذلك إلا لأن الحركة الصهيونية نمت في أحضان الاستعمار البريطاني وترعرعت في أحضان الامبريالية ، وهي من حيث الايديولوجية والأهداف تنسجم مع ايديولوجية الاستعمار والامبريالية ومصالحها ومطامحها .

وما كان ممكناً أن يوجد الاحتلال الصهيوني لو كان الاستعمار والامبريالية لا يريدان بقاءه ولا يوافقان على استمراره . ولم يكن بعد مخططٍ مرسوم لحماية مصالحها .

وفي الوقت الذي كانت فيه الحركات القومية الأوروبية خطوة تقدمية إلى الأمام ، أنهت عالم أوروبا الاقطاعي البطريركي المتخلف ، ووحدت الشعوب المجزأة قومياً ، ووضعت أساس تطورها البرجوازي ، فإن الحركة الصهيونية تعارض اتجاه تمثل اليهودي، وهو اتجاه التقدم في العالم الحديث* وتسعى لاستقطابهم في « غيتو كبير » . وهي فوق ذلك تلعب دوراً تهديمياً بالنسبة لنهضة الأمة العربية لأنها تسعى إلى ما يلي :

١ – إبقاء الأمة العربية مجزأة سياسياً، وتكريس الانقسامات الطائفية في صفوفها ، وتحريض الأقليات الدينية على التمرد والعصيان والارتباط بالقوى الاستعمارية .

---

* – وهذا هو رأي لينين: الأعمال الكاملة، المجلد السابع (بالانجليزية) ص ١٠١

٢ – إخضاع المنطقة العربية للسيطرة الصهيونية والامبريالية وفتح أسواقها وحدودهـــا لرؤوس الأموال والخبرات والفنيين الأجانب عامة والصهيونيين خاصة .

٣ – منع التطور القومي والنهضة القوميـــة بالقوة والعنف وفرض الخضوع والاستسلام والمذلة والشعور بالضعف والتخلف .

ويغال آلون يُجسّد هـذه الفلسفة القومية الدينية البرجوازية العرقية الغيبية . وهو ينظّر لها ويمارسها ، يكتب عنها ويقاتل من أجلهـا . وهو يلعب دوراً سياسياً ودوراً فكرياً ودوراً عسكرياً .

٣ – آلون يُجسّد الاستراتيجية الصهيونية في المرحلة الحالية

« آلون رجل عسكري وخطته تجسد اعتبارات استراتيجية » هـذا ما قاله أحد مقابليه[٣] ، ولكني أقول أكثر من ذلك : « آلون سياسي وأفكاره تجسد الاستراتيجية العامة للاحتلال الصهيوني في فلسطين » .

وإذا كان هـذا الشمول واضحاً في كل كتبه ومقابلاته ودراساته ، فإنه واضح أيضاً في ممارساته . فلقد قـام بهـذا

---

3 - Jo and Mer. Vol, XVII, No. 52. 1968 P. 6-7 interview

الدور وهو في البالماخ ، ثم عندما أصبح نائباً فوزيراً للعمل ، ووزيراً لاستيعاب المهاجرين ونائباً لرئيس الوزراء بعد ذلك . وواصل مهماته حين أصبح نائباً لرئيسة الوزراء ووزيراً للمعارف والثقافة وعضواً في لجنة الأمن والدفاع بمجلس الوزراء . وهو فوق ذلك من المرشحين البارزين لرئاسة الوزراء في دولة الاحتلال ؛ إن لم يكن أبرز المرشحين .

ولقد قالت عنه إحدى الصحف حين بحثت موضوع التنافس على رئاسة مجلس الوزراء : « انه ملتصق بالتراب ، يفهم العرب الذين ترعرع بينهم ، وهو مقاتل كل حياته ، وبطل طريقة الحياة الجماعية ، وكان عضواً مؤسساً لكيبوتس جينوسّار على شواطيء بحيرة الجليل منذ كان ابن تسعة عشر عاماً »[٤] وهو ذو « سجل عسكري باهر » .

ان هذا الصهيوني النموذجي إذن رجل استراتيجي . وهو لذلك يبحث كل القضايا من زاوية الاستراتيجية الشاملة أو القومية[٥] . وإذا كان من الطبيعي أن تخضع السياسة الخارجية والسياسة الداخلية نحو العرب في الأراضي المحتلة

---

4 — Israel Magazine ; Take Five. Vol. 1, No. 10, 196 9, P. 23-27.

٥ – الهيثمي : محمد فاروق ، في الاستراتيجية الاسرائيلية ، مركز الأبحاث (نوفمبر) ١٩٦٨ ، ص ٢٨ ، وليدل هارت : الاستراتيجية وتاريخها في العالم ، دار الطليعة، طبعة ثانية ، ص ٣٩٥

واستراتيجية العمل العسكري للاستراتيجية الشاملة ، فإن آلون لا ينسى أن يخضع حتى قضايا العمال والتعليم لهـــذه الاستراتيجية عندما يتحدث عنهما . المجتمع كله ، فيما يرى ، مطالب بأن يحقق استراتيجية واحـــدة : هي استراتيجية الاحتلال الصهيوني .

فحين تحدث آلون ، وكان وزيراً للعمل، عن العمل والعمال تحدث عن :

١ – « زيادة انتاجية السكان والاقتصاد في اسرائيل » .

٢ – « تسريع عملية التصنيع من جهة وتكثيف الزراعة في الأجزاء الأقل تطوراً من اسرائيل من جهة أخرى » .

٣ – « بذل جهد خاص ... لزيادة الانتـاج بالنسبة لكل وحدة عمل ولتحسين النوعية وتخفيض الكلفة » .. وذلك من أجل أن تتمكن دولة الاحتلال « من المنافسة في الأسواق العالميـة ، حيث النوعية والسعر حاسمان » .

٤ – من واجب الهستدروت أن يواصل القيـــام بدوره بانسجام مع مخطط الدولة .

٥ – وعلى الطبقة العاملة أن تعد نفسها للقيام بمهماتها من خلال استعدادها لمزيد من الانتاجية وتسليمها بمستويات الانتاج

الاوروبية ، وأن تكون مستعدة لقبول ظروف العمل التي يفرضها الوضع الخاص في دولة الاحتلال[٦] .

وحين تحدث في حفلة تخرج، وكان وزيراً للمعارف والثقافة لخص استراتيجية دولة الاحتلال الصهيوني في ست نقـاط ، منها :

(١) « ٢ – تعلـيم الجندي أن الهدف من خدمته ليس أكثر من الدفاع عن المجتمع ، وانه حتى عندما يكون هنالك عمل هجومي محدد بالمعنى العملياتي فإن هذا العمل يبقى دفاعياً من وجهة النظر الاخلاقية » .

(٢) « ٥ – الاعتراف بان اسرائيل سوف « تستضيف أقلية عربية ذات حجم وانها ستكون محاطة دائماً بجيران عرب » .

ولم يفته ان يدعو في هذه المناسبة إلى السلام «لأن جيلا يتوقف عن الايمان بالسلام سوف لا يؤمن بالحلول السلمية، وسوف يقبل حالة الحرب الدائمة على أنها الوسيلة الوحيدة الممكنة للبقاء » ولكنه أضاف : « علينا أن نبني مجتمعنا كما لو أن حالة الحصار غير موجودة ، وأن نبقي

---

6 — Jewish Observer : Vol : 14, No. 4, Jan. 1965, P. 7-9.

عليه في حالة حرب في الوقت ذاته »[٧] .

وفوق هذا كله فإن آلون هو صاحب المشروع المعروف باسمه ، والذي يحدد استراتيجية العدو فيما يتعلق بالأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ .

إنه يجسد الاستراتيجية الصهيونية لأنه يفلسفها وينظر لها، ولأنه يشرحها ويطرحها ، ويبيّن أهدافها وحدودها وأبعادها .

فما هي الأهداف الاستراتيجية العامة بالنسبة لألون ؟

انها تتلخص فيما يلي :

أولاً : بقاء دولة الاحتلال قوية ومسيطرة وضمان حمايتها من أي هجوم عربي .

ثانياً : التوسع السكاني عن طريق الهجرة المستمرة لحل مشكلة القلة العددية ، ولملء الفراغات السكانية في المناطق القليلة السكان أو التي هاجر سكانها.

ثالثاً : إحداث تطور اجتماعي واقتصادي وعلمي يضمن تفوق مجتمع الاحتلال على المجتمعات العربية المتخلفة .

رابعاً : إعداد مجتمع الاحتلال إعداداً عسكرياً وخلق جيش

---

7 -- Jo and Mer. Vol XIX, No. 8, Feb. 20, 1970, P. 14.

مدرب جيداً ومسلح جيداً يستطيع تحقيق انتصار سريع حاسم ويكون قوة ردع فعالة[٨] .

خامساً : فرض حدود ملائمة تؤمن إمكانيات الدفاع عن دولة الاحتلال وامكانيات الهجوم على المراكز المأهولة والصناعية في البلاد العربية .

سادساً : فرض إتفاقية « سلام » على الأمة العربية تؤمن الاعتراف بدولة الاحتلال وتضمن لها « الحركة الحرة للسلع والرجال والأفكار »[٩] .

الهدف الأساسي من بين هذه الأهداف هو البقاء ، بقاء دولة الاحتلال وبقاء مجتمع الاحتلال . ويجري التركيز دائماً على هذا الهدف لاستدرار عطف الرأي العام العالمي من جهة ، ولتعبئة الرأي العام الداخلي من جهة ثانية . الصرخة التي تطلقها أبواق الاحتلال دائماً : وجودنا في خطر ، ونحن مهددون في وجودنا . وهذه الأبواق جازمة كل الجزم في هذا الاعتقاد جزم القاتل الذي يحس أن شبح القتيل يطارده أينما ذهب . انه يحس أن عيناً تطارده حتى لو اختفى في جُبّ .

---

٨ -- آلون، يغال : ثلاث حروب وسلام واحد ، دار النهضة للنشر ط . أ سنة ١٩٧١ (بالعربية) ص ١٨٧ .

و : العابد ، ابراهيم : مدخل إلى الاستراتيجية الاسرائيلية ، مركز الابحاث ، ص (٩ – ١٧) .

٩ – Jo and Mer: Vol. XVII, No. 52, 1968, P.(6-7)

وهم يؤكدون هذا الاحساس دائماً ، و « لقد اتضح – في رأيهم .. أن الموقف العربي الأساسي تجاهنا لم يستهدف القضاء على اسرائيل كدولة فقط . بل إبادة سكانها أيضاً ، لأن كيان الدولة يقوم على أساس تركيز السكان ، وهذا التركيز لا يمكن إزالته بدون مجزرة »[١٠] . ولكي تزيد هذه الأبواق هذه الحقيقة تأكيداً يكررون دائماً أن العرب يعترفون بها . وها هو آلون يؤكد ، وهو يبرر حرب حزيران ، أن الرئيس جمال عبد الناصر اعترف : « في صراحة مذهلة أن كل هذه الاستعدادات موجهة لحرب إبادة ضد اسرائيل »[١١] .

وحماية البقاء في نظر آلون وأمثاله تبرر كل شيء : الانتقام والحرب والتوسع .

وبينما يرى دايان أن حرب سنة ١٩٥٦ أسبابها الأساسية ثلاثة : « الاستعدادات المصرية لحرب شاملة ضد اسرائيل ، أعمال الارهاب العربية التي تقوم بها عصابات مدربة ، وحصار الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة »[١٢] ، فإن آلون يرى

---

١٠ – هركابي ، يهو شفاط : موقف اسرائيل في النزاع الاسرائيلي العربي – دار النشر العربي ، ١٩٦٨ ، ص ٦ – ٧ .

١١ – الون ، يغال ، تكوين الجيش الاسرائيلي الاسرائيلي ، الفصل الخامس ، الصفحة الأولى .

١٢ – General. Dayan : Diary of the Sina Campa• ining. 1956, 1967. P. 12.

أن « أوضاع الأمن السابق المشارة إليها» تركت « الاسرائيليين وليس أمامهم خيار إلا أن يلجأوا إلى حرب إجهاض، بوصفها شراً لا بُدّ منه » (١٣) . فالحرب هدفها « ضمان الكيان الذاتي » والخطر الذي يتعرض له الكيـان « هو الذي يبرر توسعنا الذي لم يكن مدبراً سلفاً ، وإنما جـاء كرد فعل لعدوانهم (أي العرب) ليس إلّا » (١٤) .

وما قيل عن حرب سنة ١٩٥٦ قيل عن حرب سنة ١٩٦٧.

ولكي يتم ضمان « البقاء » لا بُدّ من توفير « ضمانات » متعددة أهمها :

١ – التوسع السكاني ، لأن دولة الاحتلال تمثل قلة عددية في البحر العربي الواسع . و « قلة عدد اليهود في البلاد يضعف قوة الدولة» وعليه لا بد « أن يزداد عدد اليهود بمعدل سريع لا من أجل تأمين تدعيم التفوق الديمغرافي فقط ، وإنما الزيادة مطلوبة أيضاً لتطوير السكان كقوة قومية واجتماعية مبلورة تستطيع أنتتكفل نفسها اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً وعسكرياً » .

ويتم النمو السكاني عن « طريق النمو الطبيعي والهجرة الجماعية » (١٥) .

---

١٣ – آلون ، يغال : المرجع السابق نحو حملة سيناء .

٤ – هركابي ، يهو شفاط : المرجع السابق ، ص ١٠ .

١٥ – آلون ، يغال : ثلاث حروب وسلام واحد ، ص ١٨٧ .

من هنا تأتي أهمية الهجرة التي ترتبط دائماً بمسألة الأمن في نظر القادة الصهيونيين . ولا يستهدف النمو الكافي زيادة العدد فحسب ، بل خلق تكتل بشري قادر على زيادة طاقاته البشرية والانتاجية ، وعلى سد الفراغات الجغرافية . ومن هنا يربط القادة الصهيونيون قضية الأمن بالهجرة ، ويقولون : « لن يكون هنالك أمن لاسرائيل بدون الهجرة »[١٦] .

وعلى الرغم من أن الحركة الصهيونية قد عملت بشكل متواصل ومنظم منذ سنة ١٨٩٧ من أجل هجرة اليهود إلى فلسطين ، فانها لم تنجح في ذلك . ولم يزد عدد المهاجرين من يهود العالم إلى دولة الاحتلال حتى اليوم عن ١٧ ٪ فقط[١٧] . ولهذا فإنها اليوم تخوض معركة حادة مع الاتحاد السوفياتي من أجل هجرة اليهود السوفييت . وهي في ذلك لا تستهدف استقدام مهاجرين جدد فحسب ، بل تستهدف خدمة الامبريالية العالمية بالإساءة إلى الاتحاد السوفياتي عالمياً ، وإثارة « شقاقات » داخلية وخلق جو صالح لنمو عوامل التآمر والتخريب .

كما ان الهجرة تستهدف خلق واقع جديد في الأراضي المحتلة ، وهو ما يسميه الون « واقع استيطاني » « لأن

---

١٦ – الهيثمي : الدكتور محمد فاروق : في الاستراتيجية الاسرائيلية ، مركز الأبحاث (٤٢) ١٩٦٨ ص ٩٤ ، اقتباساً عن بن غوريون .

١٧ – الهيثمي : الدكتور محمد فاروق : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

الاستيطان في المناطق الحيوية وفي الحدود الملائمة هو أحد الوسائل الرئيسية في النضال السياسي من أجل تخطيط حدود آمنة »[١٨]. ثم إن هذا الواقع الاستيطاني يستهدف توفير مزيد من الامكانيات الدفاعية .

ومن هذا الباب اقترح الون الشريط على طول نهر الأردن. و «حد الأمن هذا يبقى» ، كما يقول الون ، «خطاً نظرياً ما لم يحرسه ويدافع عنه مقيمون يهود » . ويضيف الون ان هذه المستوطنات على طول النهر ستستخدم « ضماناً ضد تسلل محتمل للرجال والسلع إلى مراكز السكان في الضفة الغربية »[١٩].

٢ – ولا بُدّ من أجل الحصول على تفوق سياسي وعسكري حاسم من إحداث تطور اجتماعي واقتصادي وعلمي . المجتمع « المتقدم » لا بد من أن يزداد تقدماً ليواجه بتقدمه تخلفنا . الهوة لا بد من أن تزداد بين « المتقدمين » و « المتخلفين » .

ويرى آلون أن اسرائيل تحظى «بميزة تفوق بارزة واحدة، وهي مبناها الاجتماعي ونظام حكمها السياسي . فإسرائيل دولة ديمقراطية اشتراكية وسياسية تقف أمام أنظمة حكم متخلفة ، ارستقراطية ـ اوتوقراطية ـ استبدادية مطلقة

---

١٨ – العابد ، ابراهيم : المرجع السابق ، ص ١١ .

١٩ – Jo and Mer. Vol. XVII, No. 5, 1968. P. (6-7)

ودكتاتورية مصابة حتى الصميم بالفساد الطبقي والشخصي ...»[٢٠]

ويجب أن يستمر هذا التفاوت ، كي يستمر التفوق. والزمن ليس ضد دولة الاحتلال ـ كما يرى ألون ـ « وفي المستقبل القريب لن يكون بالضرورة ضدنا لمدة جيلين آخرين على الأقل » « لأن هناك صلة وثيقة بين التقدم الاجتماعي والتنمية من ناحية والقدرة على استخدام الخبرة الفنية والعلمية السريعة التطور من ناحية أخرى »[٢١] .

ويستهدف احداث التطور المذكور :

أ ـ زيادة تماسك المجتمع بتقليص الفوارق الاجتماعية ورفع المستوى الثقافي .

ب ـ « تسريع عملية التصنيع من جهة وتكثيف الزراعة في المناطق الأقل تطوراً في «اسرائيل» من جهة أخرى» ، وتطوير الصناعات الموجودة وجعل الانتاجية مساوية لتلك في اوروبة الغربية ، وزيادة انتاجية العمل وتحسين نوعية الانتاج وتخفيض الكلفة [٢٢] .

---

٢٠ ـ الون ، يغال : المرجع السابق ص ٩ ١ .

٢١ ـ آلون ، يغال : تكوين الجيش الاسرائيلي .

٢٢ ـ Jewish Observer : Vol. 14 No. 4 Jan. 1965 P. (7-9).

جـ ـ تطوير الصناعات الحربية . و «لقد طرأ في السنوات الأخيرة تقدم ملموس على تطبيق البحوث العلمية والتكنولوجية والالكترونية للمصلحة العسكرية، كي تستغل في حرب حاسمة آلية وكبيرة »[٢٣] .

وتظل دولة الاحتلال بمثل هذا التقدم الاجتماعي والاقتصادي والعلمي دولة متفوقة .

٣ ـ ولا بُدّ من أن يصحب التوسع السكاني والتطور الاجتماعي والاقتصادي والعلمي وجود جيش قوي ، يتم تدريبه أحسن تدريب ويُسلح بأحدث الأسلحة : وذلك من أجل تأمين إمكانيات دفاع فعّال وامكانيات هجوم أكثر فعالية. أن وضع « اسرائيل » الجغرافي والبشري لا يسمح لها بقبول هزيمة . ويصور آلون هزيمة الجيش على أنها « إبادة قومية وشخصية »[٢٤] . ومن هذا المنطلق يصرخ دايان : « إننا لا نستطيع أن نخسر ... يجب أن نكرس كل مقومات حياتنا لهذا الغرض . وإذا كان ذلك يعني تضحيات جسماً فيجب أن نقبل بها »[٢٥] .

---

٢٣ ـ آلون ، يغال : ثلاث حروب وسلام واحد ، ص ١١٢ .

٢٤ ـ العابد ، ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

٢٥ ـ العابد ، ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

ولكي لا تحدث الهزيمة أبداً ويحدث النصر دائماً كان لا بُدّ مما يلي :

أ – إخضاع كل الحياة في دولة الاحتلال لحاجات الحر ومن هنا كان على السكان والاقتصاد والسياسة أن جزءاً من استراتيجية حرب طويلة المدى .

وقد « عالجت اسرائيل موضوع نقصها الديموغرافي جيش احتياط يمتاز بمستوى وعي استعدادي مرتفع حربية ممتازة ، وكذلك بدمج معظم أبناء الشعب في الحربي على اختلاف أنواعه »[٢٦] . ولحل هـــذه المعض جذرياً ، بنت دولة الاحتلال قواتها المقاتلة على أسس أر « جيش نظامي صغير ، الخدمة الوطنية أو التجنيد الاجباري ، الاحتياط ، الدفاع الاقليمي القائم عن المستوطنات »[٢٧] .

وتستخدم هذه القوى كلها استخداماً فعـــالاً في حالات الحرب ، وحسب مخطط مُعَدّ مسبقاً .

وبما أننا تحدثنا عن الاهتمام الزائـــد بالتطور الاجتماعي والاقتصادي والعلمي فلن نعود إلى ذلك الآن .

---

٢٦ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

٢٧ – Allon, Yigal : Sheild of David, Weidenfeld and Nicolsan, 1970, Chap. 7. P. 232.

ب – إعداد الجيش إعداداً كاملاً تامـــاً للقتال بتدريبه أحسن تدريب . ويركز القـــادة الصهيونيون على موضوع التدريب . ويرى آلون أن « مستوى وكفاءة التدريب » قد في إعداد الجيش للمواجهـة الحقيقية وتحقيق النصر . فضل التدريب الفردي في نطاق تدريبات الوحـدات ، بمـــا في ذلك التدريبات التكتيكية والتمرينات ـة في ظروف مشابهة بقدر المستطاع لظروف المعركة »[٢٨] ، كما يجري الاهتمام بما يسميه آلون « بلورة الدفاع الاسرائيلي كجيش ذي قيم إنسانيـــة ورسالة أ وقومية وتنمية روح الطاعـــة الناجمة عن الوعي د مقاييس للشجاعة غير المقيّدة »[٢٩] .

وبينما ينص برنامج التدريب المعمول به حالياً على أن يكون تدريب اجبارياً من سن ١٥ إلى ٤٩ للرجال والنساء ؛ فان جيش دولة الاحتلال « يواكب التقدم العسكري علمياً ويتلقى أحدث أنواع التدريب »[٣٠] .

---

٢٨ – آلون ، يغال : ثلاث حروب وسلام واحد ، ص ١١٢ – ١٣٣ .

٢٩ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

٣٠ – الكيلاني ، هيثم : المذهب العسكري الاسرائيلي ، م ، أ ، ١٩٦٩ ، ص (١٦٢ – ١٦٣) .

ج – الحصول على السلاح الأكثر حداثة ، وذلك من أجل احراز تفوق عسكري . ويؤكد آلون أن ليس أمـام دولة الاحتلال خيـــار « سوى تجهيز جيش الدفـاع بأحدث المعدات » [٣١]. ولا بد من أجل الحصول على أحدث المعدات من أمرين أولهما : توثيق العلاقات مع الدول المنتجة وثانيهما : تطوير الصناعات العسكرية محلياً .

وما يأتي بعد هذا يكون ضمن نطاق الاستراتيجية . وهو ما سنبحثه فيما بعد .

٤ – وفوق هذا وذاك لا بد من حـدود لدولة الاحتلال تيسّر الدفاع ، كما تيسر الهجوم . حدود ما قبل حزيران لم تكن كذلك . ولقد كانت دولة الاحتلال : « ساحلاً ضيّقاً ، ظهرها إلى البحر ، مطوقة من اليابسة ، ومهددة بحصار بحري ، ومفروض عليها أن تصمد وحيـدة أمـام هـذا الطوق الكامل » [٣٢] . أنهـا « تفتقر إلى العمق الجغرافي » [٣٣] . وكثيراً ما تحدث القادة الصهيونيون عن مشكلة العمق الجغرافي قبل حزيران وبعـده . ولكن حرب حزيران خلقت ظروفاً جديدة جعلت آلون يعلن: «ان المعطيات الجغرافية والسياسية

---

٣١ – العابد ، ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

٣٢ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

٣٣ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

الحالية تمنح اسرائيل إمكانيات جديدة تجعلها غير قابلة للاحتلال» . ولا يكتفي آلون بذلك بل يرى أن عليهم تدعيم تجمعاتهم « الدفاعية في ظروف طوبوغرافية مريحة وإعداد المناطق الجديدة كقواعد هجومية ، فيما إذا فرض العدو على «اسرائيل» حرباً جديدة » . ولم يفته أن يشير إلى الأهمية الكبرى « لحقيقة وجود قوات لجيش الدفاع الاسرائيلي في جميع الجبهات، قريبة من المراكز المأهولة والمراكز الاقتصادية، بما في ذلك عواصم جميع الدول المجاورة » . وآلون بعد هذا لا يعفي نفسه من تحديد ميزات الحدود الجديدة مع سورية والاردن ومصر [٣٤] . ويضيف آلون تعبيراً عن هذه القناعة بـ « أن وجوداً اسرائيلياً مدنياً وعسكرياً وسياسياً في التجمع الاستراتيجي الطبيعي يؤمن للدولة عمقاً جغرافياً ومواقع طوبوغرافية دفاعية مريحة ، وهو القاعدة لضمان الأمن الاسرائيلي » [٣٥] .

هنا يبرر الاحتلال المزيد من الاحتلال بحجة خلق الحدود الملائمة للدفاع والهجوم . وليس مشروع آلون إلا حلقة من حلقات هذا الوجود المدني والعسكري .

---

٣٤ – آلون ، يغال : المرجع السابق، ١٣٧ – ١٣٨ .

٣٥ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ١٥٩ .

٥ – ويتوّج هذا كله إتفاقية سلام تفرض على الأمة العربية فرضاً : « الاعتراف بالأمر الواقع » ، تعترف فيها الأمة العربية بوجود دولة الاحتلال وبحدودها الآمنة . « فالسلام لا بُدّ آتٍ بحكم عامل الزمن وحتمية الواقع »[٣٦].

ويعترف آلون ، كما يعترف غيره ، أن إمكانيات « السلام » « لا تزال بعيدة المنال » ، ولكنه على الرغم من ذلك يرى « أن الواجب يقضي على « اسرائيل » أن تخطط لإمكانيات حلول مؤقتة أو ثابتة تؤكد فيها للحكومات العربية ، وعلى الأخص للشعوب العربية بالذات أهمية الفائدة التي تجنيها في المستقبل نتيجة لمعاهدات السلام والتعاون الاقتصادي مع اسرائيل »[٣٧] .

كيف يتحقق السلام ؟

انه لن يتحقق إلا نتيجة تفوق عسكري اسرائيلي حاسم، يُضطر العرب بسببه للاعتراف بالأمر الواقع . السلام يكون إذن نتيجة الاستسلام ، وبالتالي التسليم . والعرب لا يمكن أن يفهموا غير سياسة العصا الغليظة . وهم لا يتعلمون ، فهم بعد حرب حزيران « أضاعوا الدرس دون أن يتعلموا منه ، كما كانت الحال سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ » فهل سيتعلمون يوماً ؟

---

٣٦ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ١٨٧ .
٣٧ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

ان ألون يؤكد « أنه يبـدو ان الدرس سوف لا يجري تعلمه أبداً »[٣٨] .

٦ – ولكن هذا كله لا يحقق نصراً فالذي يحقق النصر هو الخطة القتالية القائمة على الاستراتيجية الواضحة المحددة ذات الطبيعة الهجومية ، القادرة على إحباط مخططات العدو ، قبل تنفيذها أو عند البدء بتنفيذها أو بعد البدء .

وعليه فلا بُدّ من أن تقوم الاستراتيجية العسكرية لدولة الاحتلال على ما يلي :

أ – وجود قوات عسكرية، يكون وجودها عامل ردع، يخيف الخصم ، ويجعله عاجزاً عن دخول ميدان القتال . وهذا ما تحدثنا عنه في فقرة سابقة .

ب – اعتبـــار الهجوم أحسن وسيلة للدفاع . ومن هنا طوّر آلون نظرية ما أسماه حق الهجوم المضاد المسبق . فمـا الذي يعنيه الهجوم المضاد المسبق ؟ أنه يعني القيـــام بهجوم شامل وصاعق على « العدو » قبل أن يبدأ هجومه المتوقع . وقد يشن الهجوم المضاد المسبق « أحياناً قبل شهور وأحياناً قبل أسابيع وأحياناً قبل أيام قليلة من هجوم العدو المتوقع . وذلك لضمان قلب المائدة عليـــه . وعندما لا يكون هناك

---

٣٨ – Allon, Yigal : Shield of David P. 266.

مخرج آخر ، قد يكون من الضروري للقوات الاسرائيلية أن تسبق الغزو ولو بساعات قليلة ... المهم أن تسبقه »[٣٩] . ان هذا الهجوم المضاد المسبق حق . وهذا الحق تمارسه دولة الاحتلال « كلما تأهب (العدو) لهجوم فعلي عليها ، وكلما نقض التزامات ذات قيمـــة أمنية صرفة » . وقد طوّرت دولة الاحتلال قواتها لتستطيع القيام بهذه المهمة .

ويكون هذا الهجوم المضاد المسبق في الحالات التالية :

الأولى : « حشد قوات العدو بصورة فعليـــة ومرئية وملموسة بغرض القيام بعملية هجومية » .

الثانيـــة : « تدهور جذري في حالة الأمن بصورة عامة نتيجة خرق العدو لتعهداته »[٤٠] .

ويوضح آلون الحالات التي يجوز لدولة الاحتلال فيها تخطي « خطوط وقف اطلاق النـــار لعملية غزو قصيرة المدى أو للبقاء مدة أطول » . وهذه الحالات هي :

الأولى : « لغاية مكافحة الحرب الارهابية والتخريبية التي تنفذ من قواعد موجودة وراء خطوط وقف اطلاق النـار ، عندما لا تتوفر امكانية صدها بوسائل محدودة » .

---

٣٩ – آلون ، يغال : تكوين الجيش الاسرائيلي ، الفصل الرابع .

٤٠ – آلون ، يغال ، المرجع السابق ، الفصل الرابع .

الثانية : « بغية تقديم العون لحلفاء في الدول المجاورة » .

الثالثة : « في حالة تغيير خطير الوضع في بلد مجاور » .

الرابعة : « في حالة الهجوم علينا أو في حالة تحشد قوات العدو واستعدادها للهجوم »[٤١].

وعلى الرغم من نتائج حرب حزيران فإن آلون ما زال يعتبر بأن من واجب دولة الاحتلال «المحافظة على حقها الأدبي وكفاءتها العملية للقيام بهجوم معاكس مسبق طالما لم تتوافر بعد ظروف تنعدم فيها احتمالات نشوب حرب جديدة »[٤٢]

جـ – وجود مصلحة استعلامات (مخابرات) قادرة على جمع المعلومات وفرزها وتحليلها بسرعة فائقة ودقة فائقة تجعلانها مؤهلة لمتابعة التطورات وإعطاء صورة صحيحة عنها ، وتتيح للقيادة اتخاذ القرارات السليمة في الوقت المناسب . ودولة العدو لديها مثل هذه المصلحة التي يعتبرها آلون « من أنجع وأوثق وأقدر مصالح الاستعلامات في العالم ، وذلك من ناحية جمع المعلومات والدقة في تحليل التطورات العسكرية والسياسية والاجتماعية في معكسر العدو »[٤٣] .

---

٤١ – آلون ، يغال ، ثلاث حروب وسلام واحد ، ص ١٧٨ .

٤٢ – آلون ، يغال ، المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

٤٣ – آلون ، يغال ، المرجع السابق ، ص ١١٢ .

د – القيام دائماً بالمفاجأة والمبادأة استراتيجياً ، وإن لم يكن ممكناً فتكتيكياً ، كما حصل في الخامس من حزيران . وهذا يقتضي ألا يسمح لنـــا – نحن العرب – بالاستفادة من المفاجأة والمبادأة [٤٤].

هـ – اعتبار أن الحرب ، أية حرب ، يجب أن تكون قصيرة وحاسمة . هذا ما حدث سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ ، وهذا ما يجب أن يحدث في المستقبل . أما الأسبـــاب فهي « عسكرية وسياسية » [٤٥].

و – نقل المعركة إلى أرض العدو . وهذا من وجهة نظر آلون « مبدأ أمني لا يعرف معنى للتراجع » [٤٦] . ولقـــد طبق العدو هذا المبدأ سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ .

٧ – وانتهجت دولة الاحتـلال في الميدان الدولي سياسة مرنة وبارعة استهدفت :

أ – إقامة علاقات وثيقة مع الدول الكبرى ، مع عدم الاعتماد على دولة واحدة ، وذلك لضمان الدعم السياسي من جهة والحصول على الأسلحة المتطورة من جهة أخرى .

---

٤٤ – آلون ، يغال ، المرجع السابق ، ص ١٢١ .

٤٥ – آلون ، يغال : تكوين الجيش الاسرائيلي ، الفصل الرابع .

٤٦ – آلون ، يغال : ثلاث حروب وسلام واحد ، ص ١١٠ .

ب – « إقامة علاقات مع الدول الصغيرة، وخاصة الدول النامية في آسيـــا وافريقيا وامريكا اللاتينية »[٤٧] من أجل علاقات سياسية أوسع وأسواق تجارية أرحب .

ومع ذلك فإن دولة الاحتلال لا تسمح لنفسها بالاعتماد على السياسة الدولية فحسب ، لأنهـــا لا تثق بسلامة الاعتماد على « ضامن » أجنبي . ويعطي آلون مثـلاً على ذلك مستقىً من عدم نجاعـــة « تعهد الدول البحرية سنة ١٩٥٧ ولا قوات الطوارىء » فيما يتعلق بخليج العقبـة[٤٨] . كما أن قادة دولة الاحتـــلال لا يفتأون يتحدثون ، عند الحديث عن ضرورة تعدد العلاقات الدولية مع الدول الكبرى ، عن موقف فرنسا من إيقاف صفقة الميراج بعد حرب سنة ١٩٦٧ .

وعلى الرغم من انتهاج هذه السياسة عالميـــاً ، فإن دولة الاحتلال تركز اهتمامها على العلاقة مع الولايات المتحـــدة ، ويعود ذلك إلى سببين ، أولهما : اهتمام الولايات المتحدة بمنطقة الشرق الأوسط نتيجة حرصها على ضمـــان مصالحها فيها . وثانيهما : امتلاك الولايات المتحدة لتكنولوجيا الأسلحة الأكثر تطوراً .

---

٤٧ – آلون ، يغال تكوين الجيش الاسرائيلي ، الفصل الرابع .

٤٨ – آلون ، يغال : ثلاث حروب وسلام واحد ، ١٣١ .

وحين يتحدث آلون عن هذه الحقيقة لا يخفي الحقائق بل يكشفها . فهو يؤكد أن العلاقات بين الولايات المتحـــدة واسرائيل « علاقات ودية متينة » أما العوامل التي ساعدت على ذلك فهي « مصلحة اميركا في الحفاظ على الأوضاع الراهنة في الشرق الاوسط ، وكذلك العطف العميق الذي يكنه « لاسرائيل » جزء كبير من الشعب الامريكي من اليهود وغير اليهود على السواء » . وبسبب هذا ، بسبب هـــذة الحقيقة « الجغرافية السياسية » ولأن الحفاظ « على الأوضاع الراهنة في الشرق الاوسط ، بالنسبة للولايات المتحـدة مهم لا أقل ، ولربما أكثر ، مما هو عليه في جنوبي شرقي آسيا » فقد أصبح وجود دولة « اسرائيـل » مستقلة وقوية في قلب الشرق الأوسط ، وعلى شواطىء البحر المتوسط .. مصلحة امريكية أيضاً » . وإذا كانت الولايات المتحـدة مضطرة « إلى إراقة دماء أبنائها للمحافظة على أوضاع راهنة غير مستقرة » في جنوب شرق آسيا ، « فإن « اسرائيل » تقوم بمهمة الدفاع عن كيانها بقواها الذاتية » وهي لا تشترط شيئاً غير تزويدهـا بالمعدات الحربية [٤٩] .

ان هذه العلاقة « الودية المتينة » ذات أهمية خاصة بالنسبة للوجود الصهيوني في فلسطين . ومهما حـاولت دولة الاحتلال

---

٤٩ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

أن توسع نطاق علاقاتها، فإنها مجبرة على أن تأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار. ووجود هذه المصلحة المتبادلة : حاجة الولايات المتحدة إلى الدور الذي تلعبه دولة الاحتلال وحاجة دولة الاحتلال إلى مساندة الولايات المتحدة ومساعدتها هو الذي يفسّر هذه العلاقة « الودية المتينة » . وما دامت الولايات المتحدة حريصة على مصالحها في منطقة الشرق الاوسط ، فإنها ستكون حريصة على بقاء دولة الاحتلال واستمرار تفوقها . وهذا يعني استمرار التأييد واستمرار تدفق المساعدات .

٤ – نظرة يغال آلون إلى الشعب الفلسطيني والأمة العربية

تجسم نظرة يغال آلون للشعب الفلسطيني وللأمة العربية نظرة الحركة الصهيونية . انها نظرة عرقية عمياء فيها الكثير من الاستهتار والكثير من الاستخفاف .

وتقوم نظرة يغال آلون إلى الشعب الفلسطيني والأمة العربية على المنطلقات التالية :

الأول : أن « لليهود » حقاً تاريخياً في فلسطين ، وأن هذا الحق التاريخي هو الذي يقرر مصير المنطقة ، ولا حق

سواه[*] . ولكن ما هي حدود هـذا الحق ؟ وإلى أين تمتد رقعة هـــذا الحق التاريخي ؟ هنالك إجابات مختلفة آخرها جواب آلون الذي يقول : «أما فيما يتعلق بالروابط التاريخية، فلا يقتضي علينا أن نقيّد سياستنا بمقياس الخـارطة القصوى التي عرفهـا التاريخ كمفهوم أدبي ، قومي وسياسي » . وعند عدم التقيد بمقياس الخارطة القصوى « لن يكون هنالك مجال لاعتبار هذه الخطوة كعملية ضم حسب المفهوم السياسي ولا كعمل باطل من الناحية الأدبية »[٥٠] .

وعلى هذا : « ليس للمملكة الأردنية أي حقوق تاريخية أو سياسية شرعية للمطالبة بملكية ما يسمى الضفة الغربية »

---

* – ولقد اكتشف بعض الصهيونيين ان هذا الادعاء وحده لا يكفي. قال أوتو واربورغ رئيس المنظمة الصهيونية العالمية (١٩١١ – ١٩٢٠): « ان الحق التاريخي الذي يستند على امتلاكنـــا لفلسطين قبل ألفي سنة لا مفعول له وحده ، وفي حد ذاته بنظر الدول الكبرى ، بل يتوجب علينا إيجاد صيغة عصرية لذلك الحق ، كي تضاف إليه. هذه الصيغة تقوم على ان تُظهر ، ان لم يكن شرعياً أو حقوقيـــاً de juye فبحكم الواقع الفعلي de facto ، أن فلسطين تخضع لنفوذنا الاقتصادي ، وان جميع ما أحرزته تلك البـــلاد من تقدم كبير وملموس يرجع في الأصل إلى مبادرتنا وقوة وسائلنا الاقتصادية وفعاليتها ، ولم يتم إلا بفضلها». العظم، صادق جلال : دراسات « يسارية » ، ص ٨٠ .

٥٠ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

كما أنه « يشك من ناحية تاريخية في أمر ملكية مصر لشبه جزيرة سيناء . والحوار مع مصر في هذه الناحية على أساس سياسي وليس على أساس قانوني » .

ولكن آلون بعد هذا يشير إلى أنه « ... من الجائز طبعاً » أن تقرر دولة الاحتلال « التنازل عن مناطق معينة في إطار معاهدة صلح » كي تصل إلى « هدف أكثر أهمية » ولكنه يحذّر من التفريط « بأية مساحة يكون فيها تنازل مبدئي عن » (حقهم) « التاريخي في الوطن كله » [٥١] .

وهذا الادعاء التاريخي يتجاهل شعب فلسطين وعلاقته التاريخية بأرضه ، ويلغي تاريخ المنطقة منذ الفتح العربي حتى اليوم . كما ان هذا الادعاء التاريخي لا يشير من قريب أو بعيد إلى علاقة يهود اليوم بيهود الأمس ، ولا يجيب لنا على هذا السؤال: هل يهود اليوم هم الاستمرار التاريخي والانثروبولوجي والسياسي ليهود الأمس ؟ وما داموا ليسوا كذلك كما يقرر التاريخ والانثروبولوجيا والسياسة [٥٢] فما معنى هذا « الحق التاريخي » ؟

---

٥١ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٦١ .

٥٢ – حمدان ، جمال : اليهود انثربولوجياً ، دار الكاتب العربي ، القاهرة .

الثاني : الضرورات الأمنية ، وهي ضرورات بلا حدود أيضاً ، إذ إنهـا لا تتعلق بالتهديد الفعلي بل بالتهديد المتوقع والمحتمل. ولهذه الضرورات الأمنية يجب أن تخضع كل حقائق الحياة والتاريخ . فالحدود مثلاً يجب أن تتغير ، ويستعاض عنها بحدود آمنة . والحدود الآمنة هي « الحدود السياسية التي تعتمد على عمق جغرافي ، وعلى حواجز طبيعية كالحواجز المائية والجبلية والصحراوية والممرات الضيقة التي تحول دون تقدم القوات البرية الآلية ، إذ إنها تؤمن من ناحيـة إمكانية اتخاذ ترتيبات تحذيرية مسبقة ناجعة ضد اقتراب مقاتلة معادية، وتستغل من الناحية الثانية لانشاء قواعد مريحـة لهجوم معاكس » [٥٣] . ولكن ما هو الخط النهائي لهذه الحدود ؟ هل هو حدود هزيمة حزيران ؟ انه كذلك مؤقتاً، ولكن أي تهديد جديد ينشأ من وراء هذه الحدود لا بُدّ من أن يطرح قضية تغييرها .

هنالك إذن «حقيقتان» فقط ، الحق التاريخي وضرورات الأمن . وبينهما يضيع الشعب الفلسطيني والأمة العربية وكل القيم الانسانية والحقائق التاريخية . ومن اقتنع فليقتنع وإلا فالحرب .

ولا ينسى آلون ، بعد هذا ، من أن يتكرم على الشعب

---

٥٣ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

الفلسطيني بدولة في شرق الأردن ، في « الضفة الشرقية من النهر » مع العلم « بأن الضفة الشرقية جزأ لا يتجزأ من أرض اسرائيل الكاملة » . أما العرب في الأرض المحتلة « ... فهناك إمكانية مساعدة ... الذين يريدون إقامة إدارة ذاتية مستقلة كنوع من الحكم الذاتي لا يتدخل في الشؤون الداخلية لدولة اسرائيل ، كما لا تتدخل اسرائيل في الشؤون الداخلية لمناطق الادارة العربية » . ويتم « تعاون اقتصادي وثقافي مع احتفاظ اسرائيل بالشؤون الأمنية والخارجية »[٥٤] . ولكن قيام مثل هذا الحكم الذاتي يقتضي قيام اتصالات بين دولة الاحتلال والسكان العرب الأصليين الذين يبدي معظمهم الضغينة « لاسرائيل » كما يقول آلون . وإذا كانت مثل هذه الاتصالات لن تؤدي « إلى انفاق قريب » فإنها « ستثير مشاعر القلق في الدول العربية ، وتساعد على التغلب على ترددها بشأن بدء التفاوض مع اسرائيل »[٥٥] .

وإذا كان آلون ، مثل كل القادة الصهيونيين لا يعترف بالشعب الفلسطيني، فإنه ليس غريباً أن يحاول عدم الاعتراف بحركة المقاومة الفلسطينية « كحركة تحرير قومية حسب المألوف في المفهوم السياسي » « على الرغم من وجود محاربين ذوي

---

٥٤ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٦٢ – ١٦٣ .

٥٥ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٦٥ – ١٦٦ .

وعي قومي ، يتمتعون بمزايا ايديولوجية في صفوف منظمات التخريب والإرهاب » .

والشعب الفلسطيني الذي يكن ضغينة للاحتلال – كما يعترف آلون – « يعترفون في محادثاتهم الشخصية بانعدام الأمل في دحر اسرائيل في ميدان القتال »[٥٦] . ويحاول آلون أن يجعل من هذه الموضوعة حقيقة مطلقة ، ذلك « ان عامل الزمن لا يعمل في غير صالح اسرائيل »[٥٧] . وإذا كانت مصر قد تعهدت بتحرير فلسطين فتلك « مهمة لا طاقة للعالم العربي على تحقيقها » ، بأية وسيلة من الوسائل « السياسية أو العسكرية »[٥٨] .

ولا يكتفي آلون بتأكيد ما ذكرنا،انه يذهب إلى أبعد من ذلك . انه يتحدث عن احتمالات انتصار الامة العربية في المستقبل مؤكداً أنها أضعف من احتمالات النصر في حزيران سنة ١٩٦٧[٥٩] ، والعرب فوق ذلك لا يتعلمون و « التجربة تشير إلى أنه لا يمكن أن يؤمل منهم وزن الامور بصورة

---

٥٦ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .
٥٧ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .
٥٨ – آلون ، يغال ، المرجع السابق ، ص ٣٩ .
٥٩ – آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

سديدة ومنطقية»[٦٠]. ولهذا لا بد من أن تظل العصا الغليظة فوق رؤوسهم .

٥ ـ ملاحظات حول أفكار آلون :

ان دراسة أفكار آلون تؤكد الحقائق التالية :

أولاً : أن آلون استمرار من الناحيـــة النظرية لهرتزل والمفكرين الصهيونيين . وأن أفكاره هي حصيـــلة التجربة والممارسة وتنظير لهما . وإذا كانت صهيونية هرتزل قد «جمعت الصوفية الدينية المتطرفـــة إلى نوع من اليوتوبية أو الرؤيوية العلمية»[٦١] ، فان أفكار آلون لا تخرج عن هذا الاطار . انها فلسفة قومية برجوازية تحوّل التاريخ إلى اسطورة ، وإلى ميتافيزياء ، وتعجز عن رؤية حركته الحيّة . والصهيونية ، ككل فلسفـــة برجوازية قومية ، تستند إلى الميتافيزياء في نظريتها ، وتستند إلى العلوم في ممارستها . وهي في هـــذا لا تبتعد عن نشأتها وأصلها وعن طبيعتهـــا ، ولا تخرج عن اطار المنـــاخ الذي ولدت فيه وترعرعت : عالم الرأسمالية ثم الامبريالية .

---

٦ ـ آلون ، يغال : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

٦١ ـ رزوق، اسعد : اسرائيل الكبرى.. دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني ، مركز الأبحاث ، ص ١٨ .

ثانياً : أن نظرية الحق التاريخي التي يستند إليها آلون ، وتستند إليها الحركة الصهيونية ، ليست إلا رومانسية قومية . والصهيونية حركة قومية كما يرى هرتزل «مسألة قومية وليست مسألة اجتماعية أو دينية وإن كانت تتخذ هذين الطابعين وغيرهما في بعض الأحيان »[٦٢]. ولكن « بما أن الصهيونية تنتمي إلى الفئة المتأخرة من الحركات القومية البرجوازية نجدها متأثرة إلى أبعد الحدود بالحركات القومية الأوروبية الكبرى ، كما في البلقان وايطاليا والمانيا ، وتحمل كافة السمات الرئيسية لهذه الحركات »[٦٣] . ولهذا يصبح الحق التاريخي مبرراً للاستعمار ولإجلاء الشعب الأصلي والشعور بالتفوق والامتياز سبباً للاحتلال ولاضطهاد الشعوب الاخرى. والشعب المختار « سوف يصبح من جديد شعباً مختاراً بعد استعادة سيادته القومية وينير الطريق أمام العالم »[٦٤]. ولكي تتحقق السيادة القومية « للشعب المختار » لا بد من أن يزول شعب آخر . وما المانع ما دامت الحركات القومية البرجوازية سلكت السبيل عينه ؟

---

٦٢ – العظم، صادق جلال : دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية، دار الطليعة ، ص ٩٧ .

٦٣ – العظم ، صادق جلال ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .

٦٤ – الحلو ، انجلينا : عوامل تكوين اسرائيل ، مركز الأبحاث ، ص ٤٤ .

ثالثاً : أن الحركة الصهيونية منذ البدء ، وقبل مؤتمر سنة ١٨٩٧ عرفت أهمية وجودها بالنسبة للاستعمار . ولقد عرف الاستعمار هذه الحقيقة . ولم يكن غريباً أن يوجه نابليون نداءه ، ولا كان غريباً أن يزداد اهتمام أوساط بريطانية معينة في أوائل القرن الماضي بعودة اليهود ؛ ولا أن يزداد اهتمام رجال السياسة في بريطانية بهذه القضية مع ابتداء النصف الثاني من القرن الماضي[٦٥] . وكان هرتزل ، يدرك ، كما يدرك آلون اليوم ، حاجة العالم الاستعماري إلى دولة اسرائيل المقترحة ، وحاجة دولة اسرائيل المقترحة إلى العالم الاستعماري . ولذلك فقد طرح هذه القضية بوضوح وصراحة ، كما يطرحها آلون اليوم. وإذا كان هرتزل يقول لو تمت سيطرة اليهود على فلسطين لصاروا « يشكلون آنذاك جزء من الرديف أو السد الأوروبي بوجه آسية ، ومركزاً طليعياً للمدنية ضد البربرية »[٦٦] ، فإن آلون يؤكد هذه الحقيقة اليوم بشكل آخر ، إنما لا يقل وضوحاً ، كما ذكرنا من قبل . ان هذا الدور الذي تلعبه دولة الاحتلال لمصلحة الامبريالية العالمية ، وزعيمتها الولايات المتحدة ، يربط بين مصيرها ومصير الامبريالية عدا عن انه يجعلها ، لكونها استعماراً وبسبب هذا الدور الذي تلعبه ، تقف في

---

٦٥ – الكيالي ، عبد الوهاب : المطامع الصهيونية التوسعية ، م. أ ، ١٩٦٦ ، ص (١٢ – ١٣) .

٦٦ – الحلو ، انجلينا : المرجع السابق ، ص (٢١ – ٢٢) .

مواقع الامبريالية ، وتكون أداة من أدواتهـا . فما هي اذن رسالتها التمدينية ؟ انها رسالة الاستعمار والامبريالية : النهب والاستغلال والقتل والاضطهاد . وإذا كان بن غوريون يبدو لاسحق دويتشر « أحد آخر مستودعات فلسفة عبء الرجل الأبيض » فإن آلون ودولة الاحتلال ما زالا يبدوان كذلك. ولذلك فان الغرور والترفع الأوروبي العتيق اللذين يبدوان من الاسرائيليين نحو الافريقيين والآسيويين ، كما يشير دويتشر . واللذين يقودان إلى التقليل «من امكانيات جيرانهم ومن قدرتهم على التقدم »[٦٧] يبدوان بوضوح في فكر آلون، ولا ينفصلان عن طبيعة تكوين دولة الاحتلال ، وعن طبيعة الفكر الذي يسيّرها ، والدور الذي تلعبه .

رابعاً : تقوم الاستراتيجية العسكرية لدولة الاحتلال على ما يلي :

أ ـ الجيش القوي .

ب ـ الشعب المعبأ المعد .

جـ ـ التفوق التكنولوجي .

د ـ المفاجأة والمبادأة .

هـ ـ الحرب الصاعقة الحاسمة .

---

٦٧ ـ دويتشر ، اسحق : دراسات في المسألة اليهودية ، دار الحقيقة ١٩٧١ ، ص ١٢٠. The non jewish jew , page 121 - 122

وآلون من منظري هذه الاستراتيجية ومن مطبّقيهـا . وهي الاستراتيجية العسكرية النموذجية للاستعمار وللامبريالية. ولا يجوز لنا أن ننسى أن ألمانيا النازية كانت مجليـة في هذا المضمار . وأن الولايات المتحدة تنهج هذا النهج .

ولكن آلون ينسى أن هذه الاستراتيجية لهـا علاجها . وان تجارب الشعوب في العقود السبعة الماضية من هذا القرن قد أثبتت هذه الحقيقة. ولقد كانت استراتيجية حرب الشعب هي الرد الناجع . ولقد هزمت استراتيجيـة حرب الشعب الطويلة المدى الجيوش الجرارة المتفوقة تكنولوجياً ، وحرمت الدول الغازية من جني ثمار المفـاجأة والمبادأة ، ومن استثمار نتائج الحرب الصاعقة . وإذا كانت دولة الاحتلال الصهيوني قد نجحت ثلاث مرات في هذا الشكل من الحروب . فلقد نجح هتلر من قبـل ثلاث مرات في النمسا والسويد وبولندا ، ولكنه هزم في الحرب الشاملة الطويلة المدى . كما ان الجيوش الجرارة المتفوقـة تكنولوجياً هزمت في الجزائر وفياتنام والهند الصينية . فلماذا لا تهزم في فلسطين ؟ اننا داخل حركة التاريخ ولسنا خارجها ، ولا يستطيع آلون أن يوقف التاريخ أو أن يرجعه . وإذا كان يعتبر وجود قواته على مقربـة من دمشق أو القـاهرة يزيد من احتمالات نصر جديد ، فإننا نذكره بنابليون الذي هزم على أبواب موسكو ، وبهتلر الذي هزم على أبواب لينيغراد وستا لينغراد . امّا أن يكون أمل

انتصارنا في المستقبل أضعف منه في الماضي ، فهذا مـــا لا يستطيع أن يجزم به أحد ، خاصة بعد القتال الضاري الذي خاضته الجماهير ضد العملاء في الأردن خلال العام المـاضي . ان حرب التحرير الشعبية تولد في المنطقة لا شعارات فقط ، إنما نظرية وممارسة . وبولادتها تنتهي أسطورة الجيوش التي لا تقهر وأسطورة التفوق التكنولوجي وأهمية المفاجأة والمبادأة والحرب الصاعقة استراتيجياً (٦٨) .

٦ - خـــاتمة

وإذا كان آلون واثقاً من أننا شعب لا يتعلم ، لأننا، وعلى الرغم من هزائمنا لم نجلس إلى مائدة المفاوضات ونوقع على صك الاستسلام ، فإن عليه أن يتعلم درساً من هذه الواقعة . انهـا تعني أن لا إمكانية لإقناع هذه المنطقة بالاستسلام للسيطرة الصهيونية ، مهما كانت العصا غليظة والضربات موجعة . وقد يجد آلون خونة يتعاونون معه في المستقبل ، ولكنـه سيجد جماهير ترفض وتقاتل ، وتزداد ضغينتها حتى عندما تكون عاجزة .

ولن يفيد دولة الاحتلال في هذه المعركة الطويلة المدى جيشها المدرب جيداً أو المسلح جيداً ، ولن تنقذها تحالفاتها

---

٦٨ - المفاجأة والمبادأة والحرب الصاعقة لا تنتهي أهميتها تكتيكياً.

مع القوى الامبريالية ، ولا حدودها الجديدة ولا مواقعها القريبة من المراكز الآهلة والصناعية في الوطن العربي. ستكون الحرب شرسة وطويلة وذات تكاليف باهظة ، وستستخدم فيها أحدث مبتكرات التكنولوجيا ولكن الذي سينتصر فيها هو الانسان وإرادة الانسان وقضية تحرر الانسان . ولسوف تسقط ميتافيزياء الفكر والفلسفة وميثالوجيا التاريخ والأوهام العرقية مع سقوط المواقع الامبريالية والصهيونية . ولن يبقى من الصهيونية أكثر مما بقي من النازية ، ولن يبقى من آلون ودايان وغيرهما أكثر مما بقي من هتلر وغوبلز وأضرابهما .

ناجي علوش

١٢ / ٨ – ١٢ / ٩ – ١٩٧١

تقديم

بقلم مايكل هوارد

إنكار الذات والتواضع ليسا من الخصائص الثابتة للقادة العسكريين الذين يتصدون للتأليف . ومع ذلك ، فإن أحداً لن يخرج من قراءة كتاب يغال آلون مدركاً أي دور بارز لعبه هذا الرجل من خلق الجيش الاسرائيلي و«الأمة الاسرائيلية». ففي هـذا الكتاب لن يظهر اسم آلون على الاطلاق تقريباً ، فقط واجبه كمؤرخ هو الذي أرغمـــه على أن يضمّن ، بين مستنداته ، رسائل وأوامر صادرة منه شخصياً ، تلقي ضوءاً فريداً على « نضال اسرائيل » في مراحله المبكرة . ان يغال آلون واحـــد من آباء اسرائيل المؤسسين ، ولكنه من أقلهم شهرة خارجها . ولقد كان مما يتفق تماماً مع طبيعته ، انه لم